لماذا ترغب إسرائيل في القضاء على «الأونروا»؟

بقلم: ديفيد هيرست

يبلغ تعداد سكان لنكولين، في منطقة إيستميدلاند، ما يقرب من ٩٤٦٠٠ نسمة، وإذا أضفنا إليها نورث هايكيهام وكذلك وادينغتون، يصبح تعداد سكان المنطقة الحضرية ما يقرب من ١٣٠٢٠٠ نسمة. يوجد داخل تلك المدينة البريطانية وحدها عشرون مدرسة ثانوية وإعدادية وستون مدرسة ابتدائية.

يبلغ تعداد سكان مخيم البقعة في الأردن ١٤٠٠٠٠ نسمة. وكان هذا المخيم واحداً من ستة مخيمات "طارئة" أقيمت بعد تكبد الأردن للهزيمة في حرب العام ١٩٦٧، ثم ما لبث أن أصبح أضخم مخيم للاجئين الفلسطينيين في البلاد. يوجد فيه ١٦ مدرسة، ثمان منها للبنين وثمان للبنات.

يوجد في المدرسة الرئيسية وحدها ما يقرب من ١٦٠٠٠ طالب، ويتراوح عدد طلاب الفصل الواحد فيها ما بين ٥٠ و٥٤ طالباً. وحتى يتسنى تقديم الخدمة التعليمية لهذه الأعداد الضخمة من الطلاب فإن كل مدرسة من هذه المدارس تعمل من خلال دورتين في اليوم.

ليست مجرد وكالة إغاثة

تقوم وكالة الأمم المتحدة للغوث والتشغيل (الأونروا)، التي تدير المدارس، كذلك بإدارة مركزين صحيين يوفران العناية الصحية الأولية، وهي التي تشرف على جمع القمامة داخل المخيم. ينحصر مخيم البقعة في مساحة لا تتجاوز ١,٤ كيلومتر مربع، أي ما مقداره واحد على خمسة وعشرين من مساحة لينكولين، وتوفر وظائف لما يتراوح ما بين ٧٠٠ و٨٠٠ عامل وموظف داخل المخيم.

ولذلك حينما جمد الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في كانون الثاني نصف المساعدة المقررة للأونروا والبالغة ١٢٥ مليون دولار، سارع لاجئو مخيم البقعة إلى إجراء حسبتهم. يقول زياد قطيشات، الذي يدير الجمعية الخيرية الرئيسية داخل المخيم: "الحسبة بسيطة. يكسب كل واحد من العاملين في الأونروا ما يقرب من ٤٠٠ دينار أردني (أي ما يعادل ٥٦٥ دولاراً أميركياً) في الشهر. وهذا يعني أنه إذا ما اضطرت الأونروا إلى تقليص القوة العاملة في مخيم البقعة، فسوف يخسر المخيم ما يقرب من ٢٨٠٠٠٠ دينار. وهذه ستكون كارثة. فالأونروا ليست مجرد وكالة إغاثة، بل هي منظومة بيئية تحافظ على تماسك هذا المخيم".

إلا أن هذا بالضبط هو السبب الذي من أجله يسعى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو إلى تفكيك المنظمة. ففي كانون الثاني أعلن نتنياهو أن الأونروا تهدف إلى إدامة "حكاية ما يسمى بحق العودة وذلك من أجل القضاء على دولة إسرائيل، ولذلك ينبغي أن ترحل الأونروا عن هذا العالم." لقد أعلن نتنياهو عن أن هدفه الاستراتيجي هو إيواء حق العودة الفلسطيني "إلى النوم".

كانت محادثات السلام بين إسرائيل والفلسطينيين تقوم منذ عقود على فكرة السماح بعودة عدد رمزي من اللاجئين، وظل هذا العدد بطبيعة الحال يتقلص مع مرور الوقت، حيث كان في مؤتمر كامب دافيد أحد عشر ألفا ثم أصبح خمسة آلاف في آخر جولة من المحادثات بين إيهود أولمرت والرئيس الفلسطيني، محمود عباس، في العام ٢٠٠٨، إلا أن القضية كانت لا تزال مطروحة على مائدة المفاوضات.

ظل الحال كذلك إلى أن عاد نتنياهو إلى السلطة وتسلّم رئاسة الوزراء مرة أخرى. وبعد أن حقق نصراً معتبراً بإقناع ترامب بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وضع نتنياهو عينيه على جائزة استراتيجية أخرى، ألا وهي تصفية قضية اللاجئين.

ويرى رئيس الوزراء الإسرائيلي أن الفرصة باتت سانحة للقيام بذلك بفضل وجود ترامب ومستشاره للأمن القومي جون بولتون.

بدون اللاجئين لا توجد مشكلة

إلا أن الأونروا، المنظمة الأممية التي أنشئت خصيصاً للتعامل مع اللاجئين الفلسطينيين، تقف حجر عثرة في طريقه. يتم استهداف الأونروا ليس فقط لأنها توفر لفلسطينيين مستوى راقيا من التعليم وإنما أيضاً لأنها، كما يرى الإسرائيليون، تسمح لذرية الجيل الأول من اللاجئين بالاحتفاظ بصفة اللاجئين في أماكن تواجدهم في البلدان التي تستضيفهم. والذي تريده إسرائيل هو نقل المسؤولية من الأونروا إلى المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة.

تسببت هذه التصريحات في نقل معاناة خمسة ملايين لاجئ فلسطيني ظلت قضيتهم خامدة لعقود إلى الواجهة من جديد حتى تصدرت الحملة الفلسطينية. كان يوم الأرض قبل أيام مجرد حدث عابر ليوم واحد، حينما أحيا الفلسطينيون قضية حق العودة من خلال مسيرات نظموها باتجاه قراهم السابقة.

إسرائيل تضغط لإغلاق "الأونروا" من أجل تصفية قضية اللاجئين.

تجمع الآلاف في عرابة في شمال إسرائيل وفي الصواويل، إحدى القرى البدوية في النقب، إضافة إلى بضع عشرات في مخيم جباليا. وتظاهر ما لا يزيد على سبعين شخصاً خارج باب العامود في القدس الشرقية. ولكن ما أن حل المساء حتى انتهى كل شيء وكأنه لم يكن.

في هذا الشهر فقد انطلت مسيرتان شارك فيهما عشرات الآلاف، وأسفر الحراك عن مقتل واحد وثلاثين فلسطينياً وإصابة المئات برصاص القناصة المنتشرين على امتداد السياج على الحدود مع غزة بهدف فرض الأمن في المنطقة العازلة. أقيمت مخيمات الاحتجاج على مسافة لا تزيد عن ٧٠٠ متر من السياج الحدودي، ولا يبدو أن الاحتجاجات ستخبو شعلتها، ومازالت أسابيع تفصلنا عن الذكرى السنوية للنكبة في منتصف أيار.

في البداية صدم الجيش الإسرائيلي بمشهد ثلاثين ألفاً من المحتجين غير المسلحين وهو يسيرون باتجاه السياج الحدودي. وكان الجيش الإسرائيلي قد صرح في تغريدة تمكنت منظمة بيتسيلم من التقاطها قبل أن تُحذف بأن الجيش الإسرائيلي كان يعلم "أين سقطت كل واحدة من الرصاصات التي أطلقها جنوده." في ذلك اليوم، أصيب ٧٧٣ فلسطينياً بأعيرة نارية حية.

تاريخ من جرائم الحرب

يعج تاريخ هذا الصراع بجرائم الحرب، إلا أن الفرق هذه المرة هو أن كبار الوزراء الإسرائيليين لم يكتفوا بالشعور بأنه لا يوجد ما يلزمهم بالاعتذار وإنما راحوا يعربون عن ابتهاجهم بقتل الفلسطينيين.

فقد لخص وزير الدفاع الإسرائيلي، أفيغدور ليبرمان، سلوك حكومته تجاه الفلسطينيين في غزة -ولربما تجاه الفلسطينيين بشكل عام- حينما قال: "لا يوجد بشر أبرياء في غزة، فالجميع مرتبط بحماس، والجميع يحصلون على رواتبهم من حماس، وكل النشطاء الذين يسعون لتحدينا ولاختراق الحدود هم نشطاء تابعون للجناح العسكري لحماس".

وعندما عرضت القناة العاشرة مقطع فيديو صوره في الثاني والعشرين من كانون الأول قناص إسرائيلي، ولد هذا المقطع رد فعل مشابها. وكان الفيديو قد سجل لأحد الجنود وهو يشهق من غمرة الفرحة حين رأى فلسطينياً يصاب بطلقة في رأسه: "واو، يا لهذا الفيديو..".

علق على ذلك وزير التعليم نافتالي بينيت قائلاً في تصريح لصحيفة يديعوت: "ومنذ متى نحكم على سلوك الجندي استناداً إلى لغته اللطيفة؟ أفضل أن أرى جندياً حبوراً على أن أرى أباً مكلوماً".

أما وزير الأمن العام، جلعاد إردان، الذي ينتمي إلى حزب الليكود بزعامة نتنياهو فصرح لصحيفة يديعوت قائلاً: "أومن بنقاء أسلحة الجنود وبأخلاقيات الاشتباك. ومن هنا فإن مبدئي باستمرار هو فعلاً الدفاع عن الجنود المتواجدين في ميدان المعركة".

شكل جديد من الاحتجاج

على الجانب الفلسطيني، ثمة عناصر جديدة لهذا الشكل من الاحتجاج. فعلى النقيض من الانتفاضة الثانية، بل حتى الأولى، التزم الجميع حتى الآن بالاحتجاج السلمي التام. لم يحدث أن أطلقت النيران على أي جندي إسرائيلي، بل لم يتعرض أي منهم لأي إصابة. وبقيت ترسانة السلاح الغزية المصنعة محلياً حيث هي في مخازنها ومخابئها.

وأما العنصر الثالث في هذه الآلية من الاحتجاج فهو أنها معدية. ما من شك في أنه لو استمر الحراك في غزة فسوف يولد ردود فعل داخل الضفة الغربية. كما يدور حديث في أوساط فلسطيني الشتات في الأردن حول تنظيم مظاهرات على الحدود مع إسرائيل هناك.

وبحلول أيار قد تجد إسرائيل نفسها في مواجهة مظاهرات أمام كل حدودها، وهذا هو الذي يجعلها ترغب في قتل هذا الشكل من الاحتجاج الآن قبل الغد.

وقال لي كاظم عايش، الذي قضى سبعة وعشرين عاماً من حياته معلماً في الأونروا داخل الأردن: "تعتبر الأونروا شاهداً دولياً على الجرائم التي ارتكبت ضد الشعب الفلسطيني. ولهذا يرغبون في قتل ذلك الشاهد ويرغبون في تعليم الجيل القادم من الفلسطينيين بأن القدس ليست عاصمة فلسطين وأن فلسطين المحتلة ليست بلادكم.

كل الفلسطينيين يشجعون أبناءهم على التعليم. فهم يعلمون أن تلك هي الوسيلة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة، وتراهم يذهبون بالآلاف إلى دول الخليج للعمل. لكن بالنسبة لي كمعلم في الأونروا لا يتعلق الأمر بالحافز.

عليهم أن يتعلموا كيف يستردون حقوقهم. إن الحافز لديهم كبير، وستظل المخيمات رمزاً لقضية اللجوء سواء حاولت إجبار اللاجئين على الخروج أم لم تحاول. نسعى لضمان ألا يفقدوا هويتهم الفلسطينية والتأكيد لهم بأن بإمكانهم فعلاً التخطيط للعودة إلى وطنهم".

عن "ميدل إيست آي"

ترامب اختار ضربة محدودة ضد الأسد تجنُّباً لاستفزاز روسيا وإيران

بقلم: بيتر بيكر وبيك غلادستون

بإرسال الصواريخ والقذائف إلى سورية ضرب الرئيس ترامب أهدافاً أكثر واستخدم قوة نيران أكبر مما فعل في ضربة عسكرية مشابهة نفذتها قواته في العام الماضي. لكنه اختار في نهاية المطاف ما كان عملية مقيدة ومحدودة، كانت محسوبة بوضوح لتجنب استفزاز راعيي سورية؛ روسيا وإيران، ودفعهما إلى الرد.

اختارت الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون ثلاثة أهداف بدلاً من القاعدة الجوية الوحيدة التي تم استهدافها في العام الماضي، واستخدموا نحو ضعف عدد الأسلحة. ومع ذلك، قال مسؤولون أميركيون، إن الهجوم قُصد منه أن يكون ضربة متناسبة، موجهة بالتحديد إلى مرافق الأسلحة الكيميائية السورية بدلاً من طائفة أوسع من الأهداف، والتي كانت هجوماً لمرة واحدة في ليلة واحدة لمعاقبة دمشق على هجوم يشتبه بأنها شنته بالغاز في نهاية الأسبوع الماضي.

في الأيام التي سبقت الضربة، حذر وزير الدفاع الأميركي، جيم ماتيس، من القيام بهجوم سريع من دون وضع استراتيجية مدروسة بعناية. وعبر عن قلقة من إمكانية تصعيد الصراع عن طريق جر روسيا وإيران إلى مواجهة أعمق مع الولايات المتحدة، في بلد حيث توجد للبلدان الثلاثة قوات على الأرض. وبوجود قوات روسية وإيرانية تدعم حكومة الرئيس بشار الأسد في البلد، سيطر طيف احتمالية حدوث أخطاء على أذهان المخططين العسكريين.

مع كل خطاب الرئيس ترامب القاسي والحازم خلال الأسبوع الماضي، لم يشكل البديل الذي اختاره أي جهد ظاهر لتدمير الآلة الحربية الأوسع للرئيس الأسد أو مراكز قيادة وسيطرة حكومته على قواته خارج قدراتها المتعلقة بالأسلحة الكيميائية. ويبدو من غير المرجح أن تؤدي موجة القصف لليلة واحدة إلى تغيير في التوازن الكلي للقوى في سورية بعد سبع سنوات من الحرب الأهلية الدموية. لكن الرئيس كان يأمل أن يكون ذلك كافياً لردع الأسد عن استخدام الأسلحة الكيميائية، مرة أخرى، من دون أن تكون عمليته مفرطة في الضرر إلى درجة إجبار روسيا وإيران على التدخل.

وقال ماتيس للصحافيين في البنتاغون، مساء الجمعة، إن الضربة صُممت لتقليل احتمالات قتل الجنود الروس من دون قصد، وقصر الضرر على المرافق المرتبطة مباشرة بترسانة الأسلحة الكيميائية السورية. وفي حين وصفها ماتيس بأنها "ضربة قوية"، فإنه قال أيضاً: "الآن هذه ضربة لمرة واحدة، وأعتقد أنها أرسلت رسالة قوية جداً لثنيه وردعه عن فعل ذلك مرة أخرى".

وقال دنيس روس، الخبير في شؤون الشرق الأوسط منذ فترة طويلة، والذي عمل مع العديد من الرؤساء الأميركيين ويعمل الآن مع معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى: "من المرجح أن تكون الردود الروسية والإيرانية صاخبة من الناحية الخطابية، لكن الاستجابات المباشرة غير محتملة". وأضاف روس: "الأهداف التي تم قصفها كانت مرتبطة بالبنية التحتية للأسلحة الكيميائية، وليس القواعد العسكرية التي يوجد فيها الروس والإيرانيون".

وقال روس إنه من الممكن أن تستجيب إيران بطريقة غير مباشرة باستخدام الميليشيات الشيعية التابعة لها ضد القوات الأميركية في العراق -أو ربما سورية. ولكن، حتى هذا يبقى "أقل احتمالاً بسبب الطبيعة المحدودة لهذا الهجوم"، كما يقول.

في الساعات والأيام التي سبقت الضربة، شغلت العواقب المحتملة للضربة أذهان المسؤولين الذين اجتمعوا في وزارة الدفاع الأميركية، وفي غرفة دراسة الوضع في البيت الأبيض وفي فورت ميد في ولاية ماريلاند، حيث توجد قيادة الحرب السيبرانية للولايات المتحدة.

وفي هذه الاجتماعات، شكك المسؤولون الأميركيون في احتمال أن تقوم روسيا أو إيران بشن هجوم مضاد ضد قوات الولايات المتحدة في المنطقة، لكنهم ركزوا أيضاً على احتمال شن عملية من الانتقام غير المتماثل، والتي يمكن أن تعتمد على القدرات السيبرانية الهائلة التي تتمتع بها موسكو وطهران، والتي قد يكون من الصعب على واشنطن الاستعداد لها أو التمكن من الدفاع ضدها.

لم تكن هناك أي معلومات مخابراتية فورية تفيد بأن مثل هذا الهجوم قيد التخطيط. كما لم يكن المؤكد إلى أي مدى يمكن أن تتجشم أي من روسيا أو إيران المخاطرة بتوسيع الأزمة في سورية من خلال شن هجوم سيبراني مضاد على الغرب.

لكن مسؤولين أميركيين قالوا إنهم يستعدون للرد على مجموعة من الأعمال الانتقامية المحتملة -بما في ذلك التعرض لضربة بواسطة الإنترنت، والتي قد يعيق الاتصالات مع قوات الولايات المتحدة في مناطق القتال.

ركزت اللغة الساخنة التي استخدمت في الأيام التي سبقت الضربة على روسيا بقدر ما ركزت عن سورية نفسها -إن لم يكن أكثر- وهو ما أبرز مخاطر الانزلاق إلى دوامة ربما تفضي إلى مواجهة أكثر خطورة بين الخصمين السابقين في الحرب الباردة.

وقبل ساعات من بدء الضربات، شاركت نيكي ر. هالي، السفيرة الأميركية لدى الأمم المتحدة، في حوار قاسٍ مع نظيرها الروسي في اجتماع الجمعة لمجلس الأمن.

وفي الاجتماع اتهم السفير الروسي، فاسيلي أ. نيبينزيا، الولايات المتحدة وحلفاءها باستخدام اللغة الحربية المتهورة. وقال نيبزينيا إنه لا يوجد أي دليل مؤكد على استخدام الأسلحة الكيميائية في دوما، وإن الولايات المتحدة وحلفاءها "أثبتوا أنها ليست لديهم أي مصلحة أو اهتمام بإجراء تحقيق".

وقال السيد نيبينزيا إن تهديدات الرئيس ترامب بضرب قوات الرئيس الأسد "لا يجدر أن تصدر عن عضو دائم في مجلس الأمن".

وفي المقابل، قالت هالي إنها لا تصدق دفاع نيبنزيا عن الحكومة السورية وتصويره الشامل للأحداث. وقالت له: "أنا مصدومة من الكيفية التي تقول بها ما تقول بدون أن يرف لك جفن".

ولكن، وعلى الرغم من كل ذلك، خيم طيف روسيا بقوة على المناقشات التي دارت في واشنطن حول كيفية المضي قدماً. وخلال مؤتمر عسكري أميركي عبر الفيديو، أعرب العديد من المسؤولين عن قلقهم إزاء رد الفعل الروسي المحتمل على ضربة تُشن ضد المنشآت السورية، خاصة في ضوء تهديد موسكو بإسقاط الصواريخ التي تستهدف تلك المنشآت.

وخلال المؤتمر، قال مسؤولون عسكريون إن من الضروري اتخاذ خطوات لحماية مدمرات البحرية الأميركية من هجمات روسية مضادة محتملة. لكن إمكانية التعرض لضربة عبر الإنترنت ظلت تخيم على الأفق -كطريقة يمكن أن تتفادى بها روسيا وإيران خوض مواجهة مباشرة مع الجيش الأميركي.

قبل أسابيع فقط، حددت وزارة الأمن الداخلي الأميركية روسيا باعتبارها مصدراً "لزرع" البرمجيات الخبيثة في الشبكة الكهربائية الأميركية، وأصدرت عينات من التعليمات البرمجية إلى المرافق المعنية لمساعدتها على تنظيف أنظمتها من الفيروسات. واتهم التحذير روسيا بتنفيذ سلسلة من الاختراقات ضد محطات الطاقة النووية الأميركية والأوروبية وأنظمة المياه والكهرباء، وهو ما فسره المحللون بأنه خطوة لاختبار قدرة موسكو.

ومن جهتها، ضربت إيران البنوك الأميركية بهجوم كبير لتعطيل الخدمة فيها منذ قرابة ستة أعوام، وحاولت -بلا نجاح يُذكر- التلاعب بسد للمياه في مقاطعة ويستتشستر في ولاية نيويورك. وتعد إيران من بين أكثر القوى متوسطة الحجم تطوراً في مجال استخدام الأسلحة السيبرانية، وهي مهارات استثمرها ذلك البلد بكثافة منذ أن قامت الولايات المتحدة وإسرائيل بشن هجوم بواسطة الإنترنت على مواقع تخصيبها النووية.

بينما كان بصدد إعداد الجيش لعملية الرد الانتقامي، حذر السيد ماتيس من احتمال وقوع هجوم مضاد تشنه سورية وروسيا وإيران بعد هجوم يشنه الغرب. وأكد مسؤولو وزارة الدفاع الحاجة إلى إبراز دليل مقنع للعالم على أن حكومة الرئيس الأسد شنت بالفعل هجوماً كيميائياً في دوما.

توجد قوات روسية وقوات من المرتزقة التابعة لها في سورية، كما توجد قوات وميليشيات إيرانية هناك أيضاً، والتي يمكن أن تنفذ عمليات انتقامية ضد آلاف الجنود الأميركيين الموجودين في سورية والعراق. وكان أفراد الولايات المتحدة في أربيل؛ المدينة الكردية في شمال العراق، يجهزون أنفسهم لاحتمال التعرض إلى هجوم إيراني يُشن على قواتهم هناك، وفقاً لمسؤول أميركي.

بعد أيام من التحذير من أن الرئيس ترامب يخطط لاتخاذ إجراء عسكري، نقلت سورية بعضاً من طائراتها إلى قاعدة عسكرية روسية على أمل ردع الأميركيين عن مهاجمتها هناك -وهو ما قد يؤدي في حال حدوثه إلى استدراج أعمال عدائية بين قوتي الحرب الباردة. وقد حرص السيد ترامب على عدم استهداف تلك القاعدة يوم الجمعة، وتجنب إمكانية إصابة أهداف روسية، وإنما حافظ بذلك أيضاً على سلامة السلاح الجوي السوري.

وقال السيناتور ليندسي جراهام، الجمهوري من ولاية كارولينا الجنوبية، قبل ساعات من الضربة، إنه يشعر بالقلق من واقع الحذر الشديد الذي تتوخاه القيادة العسكرية الأميركية. وقال في حديث لإذاعة فوكس نيوز: "إنني قلق مما إذا كان لدينا الجنرالات المناسبون أم لا".

وأضاف: "إذا كان قادتنا العسكريون يستمعون إلى بوتين، ثم نتراجع لأن بوتين يهدد بالانتقام، فإن هذه كارثة علينا في جميع أنحاء العالم. لا يمكنك أن تدع دكتاتوراً يخبرك بما يجب عمله إزاء دكتاتور آخر قام بعبور اثنين من الخطوط الحمراء".

عن "نيويورك تايمز"

غزة الفقيرة والمحاصرة بحاجة إلى الدعم

بقلم: جيمس زغبي

القول إن الوضع في قطاع غزة سيئ هو تعبير أقل من الواقع. فهذا القطاع الفقير الذي يشغل مساحة ضيقة في الجهة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، لم يشهد إلا أياماً سيئة منذ عقود. لقد سافرت إلى القطاع عدة مرات خلال التسعينيات باعتباري نائب رئيس حملة «بناة السلام»، وهي مبادرة أطلقها نائب الرئيس الأميركي آنذاك، آل جور، للمساعدة على تنمية الاقتصاد الفلسطيني. وقال وزير التجارة الأميركي، رون براون، الذي قاد أحد وفودنا إلى غزة: «إن الوضع هناك أسوأ مما هو في سويتو».

وخلال أول ربع قرن انقضى على الاحتلال، اعتمدت إسرائيل سياسة وصفتها الباحثة في معهد الشرق الأوسط، ساره روي، بأنها تركز على «محاربة مظاهر التطور في غزة». ولم تكن هناك استثمارات في البنى التحتية، وانخفض عدد سكان القطاع حتى بات يقتصر على بعض العمال ذوي الأجور الرخيصة الذين يعملون لصالح المصدرين الإسرائيليين. وما يزال القطاع الفقير يضم أعلى كثافة سكانية في العالم. ونظراً لأن ٧٠٪ من سكانه نازحون يعيشون في المخيمات، فإنهم يتلقون مساعدات محدودة من منظمة «الأونروا» التي أنشأتها الأمم المتحدة.

ورأينا في مخيم جباليا صبية صغاراً يسيرون في برك المياه وسط طريق ترابي غير معبد. وبما أن المطر لم يهطل منذ بضعة أيام، سألنا عن مصدر المياه التي يستعملها السكان، فعلمنا أنهم يستخدمون مياه الصرف الصحي.

وسبق أن استولى المستوطنون الإسرائيليون على أفضل الأراضي الصالحة للزراعة، ولم يعد باستطاعة الفلسطينيين الذين يزرعون الأراضي الفقيرة تصدير منتجاتهم إلا عن طريق وسطاء إسرائيليين يسلبونهم جزءاً كبيراً من مداخيلهم.

وعبّر بعض رجال الأعمال الأميركيين المشاركين في مبادرة «بناة السلام»، خلال زيارتنا، عن اهتمامهم بالاستثمار وقيام شراكات تنموية مع نظرائهم الفلسطينيين، لكنهم تراجعوا عندما علموا أنهم سوف يواجهون الكثير من القوانين والإجراءات الإسرائيلية التي تعرقل عمليات الاستيراد من القطاع والتصدير إليه.

وكانت زيارة واحدة إلى حدود القطاع كافية لإبراز حجم الصعوبات التي يواجهها آلاف الفلسطينيين الذين يعتمدون على العمل اليومي في إسرائيل. فالقانون الإسرائيلي يمنعهم من المبيت هناك، لذلك يضطرون لمغادرة بيوتهم قبل الفجر حتى يصلوا الحدود قبل الساعة السادسة صباحاً على أمل السماح لهم بيوم عمل في البناء أو الزراعة. وكان يتم تحميل المحظوظين منهم في شاحنات إلى مواقع عملهم ثم تعود بهم في آخر النهار. ويصل العمال وهم ومنهكون إلى بيوتهم ليسارعوا إلى النوم ويعيدوا الكرة صباح اليوم التالي.

وفي العام ١٩٩٦، كان لي شرف اختياري عضواً في «مركز كارتر» كمراقب لأول انتخابات فلسطينية. وكانت صفوف الناخبين طويلة والحماس مثيراً للإعجاب.

وكانت المرة الأخيرة التي ذهبت فيها إلى غزة في عهد إدارة كلينتون، رفقة الرئيس عندما نظم لقاءً مع «المجلس الوطني الفلسطيني» وقام بقص شريط افتتاح مطار غزة الجديد. ورغم أن مشاعر الإحباط التي يحملها الفلسطينيون من إعلان إسرائيل تملّصها من معاهدة أوسلو للسلام، فقد بقي هناك بصيص أمل في أن لا تسوء الأمور. ومقارنة بالأحوال البائسة التي يعيشها سكان غزة الآن، يمكن القول إن تلك الفترة مثلت «زمن السنوات الطيبة».

وتضافرت عدة عوامل لتحريك الأمور في القطاع نحو الأسوأ، من أهمها السياسات الإسرائيلية المتشددة ذات الطابع العنيف والاستفزازي، وتحريض حركة «حماس» على أعمال "إرهابية". وكان قرار شارون الانسحاب الأحادي من القطاع، هو الذي أفسح المجال أمام «حماس» لبسط نفوذها عليه.

وما حدث بعد ذلك هو الحصار الإسرائيلي الكامل لغزة، ما زاد فقر الفقراء. وشنت إسرائيل ثلاثة حروب ضد غزة (٢٠٠٨ و٢٠١٢ و٢٠١٤) خلفت أكثر من ٣٨٠٠ قتيل فلسطيني و١٥ ألف جريح، فضلاً عن تدمير مقصود لما تبقى من البنى التحتية المتهالكة أصلاً للقطاع.

عن "الاتحاد" الظبيانية

غياب الرؤية الأميركية تجاه سورية

بقلم: بريت ستيفنس

اصطحبت عائلتي، يوم الاحد من الأسبوع الماضي، في رحلة لنرى سورية عن قرب. كان ذلك في هضبة الجولان. وكان في مقدورنا أن نرى مدينة القنيطرة المدمرة. وعادة ما تكون الأراضي الحدودية لهذه المنطقة شديدة الخضرة في هذا الفصل وهي مغطاة بالأعشاب الخضراء وتكثر فيها الزهور. وكان من الصعب أن أقنع أولادي بأن حرباً جهنمية سبق أن حدثت هنا. إلا أنني كنت مصراً على أن يروا تلك المنطقة حتى يدركوا أن سورية هي مكان وواقع وليست فكرة أو خيالاً، وأن الجراح العميقة التي يعاني منها شعبها قريبة جداً من هنا وليست شديدة البعد، وبأننا لن نتوقف عن التفكير بما يحدث فيها. وقبل بضعة أيام، تمكنت قوات الأسد من فرض سيطرتها على الغوطة الشرقية لمدينة دمشق بعد أن طردت سكانها. ولم يعد لاستراتيجية الانسحاب مقابل السلام أي معنى هذه الأيام. وهذه الحقيقة تنطبق على الأوضاع في العراق وأفغانستان وقطاع غزة. وهي النقطة التي غابت بوضوح عن الرئيس دونالد ترامب عندما تعهد الشهر الماضي بسحب قواته من سورية، وهو القرار الذي شجع النظام السوري على استخدام الأسلحة الكيميائية مما دفع ترامب للتهديد بالانتقام.

وكما نلاحظ الآن من مجريات الأمور، فإن احتمالات نشوب حرب واسعة النطاق وأكثر دموية في سورية قد تزايدت خلال الأيام الأخيرة. وتحدثت تقارير عن دخول الدبابات وبطاريات المدفعية التابعة للنظام السوري إلى المنطقة المنزوعة السلاح القريبة من الحدود الإسرائيلية في انتهاك واضح لاتفاقية فض الاشتباك للعام ١٩٧٤. ولم تبذل إسرائيل أي مجهود لإنكار هجومها، الاثنين الماضي، على مطار التيفور الذي تستخدمه القوات الإيرانية كقاعدة جوية في وسط سورية. يحدث هذا في الوقت الذي تهدد فيه إسرائيل باتخاذ إجراءات أكثر قوة لإبعاد القوات الإيرانية عن حدودها مع سورية. وهدد الإيرانيون بدورهم بالانتقام لهذا الهجوم، ويبدو أنهم متأكدون من قدرتهم على ذلك من خلال صنيعتهم «حزب الله» والميليشيات المرتزقة الطائفية التي تعمل تحت إمرتهم. وأصبح مؤشر التوتر السياسي والعسكري بين إسرائيل وروسيا في أعلى مستوياته منذ نهاية الحرب الباردة. وكان مما زاد من حدة التوتر بينهما أن إسرائيل رفضت إطلاع روسيا على هجوم الاثنين على مطار التيفور.

فأين الولايات المتحدة من كل ما يحدث؟ كما قال الصحفي مايكل دوران في افتتاحية ذكية نشرتها صحيفة «نيويورك تايمز»، مؤخراً، يبدو أن ترامب تجاوز قناعاته الشخصية عندما وعد بسحب القوات الأميركية من سورية وبما سينهي تماماً ما بقي لنا من نفوذ فيها وحتى في تركيا، ثم ما لبث أن أعلن عن عزمه على توجيه ضربة صاروخية ضد نظام الأسد خلال ساعات أو أيام.

إلا أن الحقيقة المتعلقة بالسياسة الراهنة للولايات المتحدة في سورية سيئة إلى أبعد الحدود. وأنا أقول للمبتدئين بمتابعة الأمور إن الولايات المتحدة تفتقر لأي سياسة للتعامل مع الأوضاع المضطربة هناك. ولهذا السبب أطلق الرئيس ترامب والقائد العام للقوات الأميركية في الشرق الأوسط، الجنرال جوزيف فوتيل، سلسلة من البيانات المتناقضة فيما يتعلق بما تعتزم الولايات المتحدة عمله في سورية. وكنا منذ فترة طويلة قد أعلنا عن عزمنا مساعدة المعارضة السورية المعتدلة في حربها ضد نظام الأسد، وكان الافتقار التام لسياسة واضحة قد بدل مسار الأمور لعكس الجهة التي أرادها ترامب والتي كان من المفترض أن تمنع إيران من تحقيق طموحاتها التوسعية وإجبارها على التفاوض وتوقيع الاتفاقية النووية.

ولا شك أن ضربة صاروخية محدودة ضد قوات الأسد، مثل التي وقعت أول من أمس، يمكنها أن تضعف قدراته العسكرية ولكنها لن تغير شيئا من الواقع السياسي القائم الآن في سورية، مثلما كانت حال الضربة الصاروخية للعام الماضي والتي لم تغير من الأمور شيئاً. فما هو العمل المفيد في هذه الحالة؟ يتعيّن على الولايات المتحدة أن تستهدف بشار الأسد وأهم مساعديه بشكل مباشر وبضربات صاعقة مثلما فعلت في العراق في العام ٢٠٠٣ وعند اغتيال أسامة بن لادن في العام ٢٠١١. ولم تكن كل التطورات التي حدثت في سورية خلال السنوات الخمس الماضية لتغير من نظرتي تلك للأمور. وإذا كنا جادّين في دفاعنا عن القوانين الدولية التي تمنع استخدام الأسلحة الكيميائية، فإن من الضروري أن تكون عقوبة انتهاك تلك القوانين قاسية جداً. وإذا كنا جادّين أيضاً بتحدي إيران، فإن سورية هي ميدان المعركة المفضل. ويمكن للجهود الأميركية التي تهدف إلى تدمير الأصول العسكرية الإيرانية في سورية أن تشكل رسالة تفيد بأننا لم نتقبل رؤية إيران وهي تستعمر سورية وتهدد جيرانها.

عن «نيويورك تايمز»